كان رسول الله جابراً للخواطر حتى مع الأطفال

ما أبلغ ما قاله أنس بن مالك وهو يصف رحمة رسول الله بالأطفال إذ قال: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ" . وإن الإنسان لَيَعْجَبُ حقًّا من رؤية مواقف رحمته بالأطفال، ويزداد العجب عندما تنظر إلى حجم المسئوليات الملقاة على عاتقه، وهو يدير الدولة، ويقود الجيوش، ويحكم بين الناس، ويتفاوض مع الوفود، ويتعامل مع الأصحاب، ويشرف على كل صغيرة وكبيرة في حياة المسلمين، ويتلقى الوحي من رب العالمين، ويصل به إلى كل من يستطيع، حتى يرسل الرسائل إلى ملوك العالم وزعمائه يدعوهم إلى الإسلام! رجل بهذا الثقل من المسئولية، وهذا الحجم من التَّبِعات يهتم كثيراً بأطفال أمته، مهما كانوا بسطاء! ولا يتأتَّى ذلك إلا من نبي! ثم إن العجب يزداد ويزداد حتى يبلغ الذروة عندما تعلم أن رحمته هذه كانت في بيئة لا يجدون فيها حقًّا لصغير، بل ويعتبرون أن رحمة الصغير لون من ألوان الضعف غير

مقبول، حتى يفتخر الرجل بأنه لا يرحم أبناءه! قَبَّل النبي الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله، فقال: «من لا يَرحم لا يُرحم» . إن الأقرع كان يظن أنه من الرجولة والفحولة أن يقسو القلب ويتحجر، حتى لا يرحم صغيراً، ولا يُقَبِّل طفلاً، لكن رسول الله رَدَّ عليه بالرد المفحم، ولم يكن رداً خاصاً بموقفه فقط، إنما رد بقاعدة من القواعد الإسلامية الثابتة. إنه قال له في إيجاز: «من لا يَرحم لا يُرحَم»!

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ _رضي الله عنه_ قَالَ: كَانَ لِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ فَطِيماً _أيْ تجاوزَ السَّنتينِ من عُمرِهِ_ وَكَانَ _ ﷺ _ يُمَازِحُهُ، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ _طائرٌ صَغيرٌ يُشبِهُ العُصفورِ_ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ _ ﷺ _ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِيناً، فَقَالَ: "مَا شَأْنُهُ؟"، قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ مواسياً له وجابراً لقلبِه:"يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟"، كأَنَّه يقولُ: أخبرني ما الذي حدثَ؟.

ولكم أن تتخيلوا شعورَ هذا الغلامِ وهو يسترسلُ في حديثِه للنَّبيِّ _صلى اللهُ عليه وسلمَ_ عن النُّغيرِ وذِكرياتِه ومشاعرِه، وما لهذا الحديثِ من الأثرِ في جبرِ خاطرِ الصغيرِ، وتسليةِ قلبِه الكسير!

حتى عند إصلاح الخطأ كان جابراً للخواطر _عليه الصلاة والسلام_: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ _رضي الله عنه_ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله _ ﷺ _، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله _ ﷺ _، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَالله، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ).

انظر وتأمل أيها القارئ مدى أثر جبر الخواطر والنصيحة باللين .هذا هو محمد ﷺ.